

المقريزي وكتابه « المقفى الكبير »

الدكتور غلام يحيى أنجم

كانت ولا تزال مصر مركزاً عظيماً للعلوم والآداب . نشأت فيها حركات مختلفة سياسية و غير سياسية و سادت الآفاق و نالت مكانة اعترف بها الزمان و لفتت قوتها و نموها وازدهارها العظيم أنظار كبار العلماء والفضلاء الذين قاموا بالأنشطة العلمية والثقافية والصناعية فأضافوا إلى مصر العزيزة رصيذاً من الرقي العلمي والتقدم الثقافي و قدموها أمام العالم كنموذج حي . فنرى في هذا الزمان ضوءاً متكاملأً لذلك البريق الذي ظهر في مصر فكان ولا يزال ينير العالم بضياءه الباهر .

إن أرض مصر قد أنجبت الأفاضل والأماثل البارعين الذين ملأوا العالم علما و فضلا و أصبحت مركزا للعلماء والباحثين في الشؤون العلمية والثقافية و بفضلهم صار الاشتغال بالعلم والأدب الشغل الشاغل في دمشق وقرطبة وبغداد واشتهرت هذه البلاد كمراكز للتعليم والتثقيف وشد إليها العلماء الرحال من الشرق والغرب وكانت كعبة للطلبة ومحبي

العلم والأدب .

ويا للأسف أن هذه المراكز التي كانت في زمن ما منبع العلم والحكمة والأدب عادت فريسة لتقلبات الزمان وتطوراته فقد محت الظروف السيئة الآثار العلمية التي كانت تتوارث من جيل إلى جيل ولكن الله تغمد مصر بواسع كرمه وعنايته حيث صارت بعيدة عن متناول يد الحوادث . وفي هذا الظرف المؤسف تمكنت سفينة العلم المائجة المتقلبة من الرسو على ساحل البحر الذي كان يعب عبابه والذي كانت تهب فيه الرياح العاتية بما لا تشتهي السفن وظهرت في أرض مصر المآثر العلمية والأدبية التي قلما نجد لها نظيراً في العالم ، فقد نبغ فيها المفسرون والمحدثون والمؤرخون والأدباء والشعراء والخطباء والجغرافيون الذين اعترفت الأوساط العلمية والأدبية بنبوغهم .

و نجد أن مصر لم تخل في أي قرن من علماء أصحاب قيادة علمية . ففي القرن التاسع الهجري نبغ فيه عباقرة كان لهم باع طويل في جميع العلوم والآداب مثل أحمد بن علي شهاب الدين ابن حجر العسقلاني (م ٨٥٢ هـ) ، ومحمود ابن أحمد بدر الدين ابو الشاء العيني ، وأبو المحاسن يوسف بن تغري بردي (م ٨٧٤ هـ) و أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن شمس الدين السخاوي (م ٩٠٢ هـ)

وعبد الرحمن بن بكر جلال الدين السيوطي (م ٩١١ هـ) وغيرهم . وقلّ وجود عبقرى حظي بثقة عامة الناس وتمتع بمكانة سامية بين هذه الشخصيات العمالقة الفذة في عهده . ونجد أمثلة رائعة من العلماء الذين رفعوا لواء العلم فحازوا مكانة سامية بين العلماء الكبار .

و من هذه الشخصيات البارزة صاحبنا العلامة تقي الدين

أحمد بن علي المقرئ صاحب كتاب « المقفى الكبير » فهو فى مكان القمر بين سائر الكواكب و يعد ثقة عظيما فى جميع العلوم و خاصة فى علم التاريخ و كان يلقب بـ « تقي الدين » ولكنه اشتهر بالمقرئ فى الأوساط العلمية والأدبية وفيما يلي ذكر نسبه وحياته وخدماته :

نسبه :

أحمد بن علي بن عبد القادر بن محمد بن ابراهيم بن تميم بن عبد الصمد بن أبي الحسن بن عبد الصمد بن تميم أبو العباس بن العلاء بن المحيوي الحسيني العبيدي البعلبي المصري القاهري سبط ابن الصائغ (١) .

اشتهر صاحبنا بلقب المقرئ كما يسمونه ، إلا أن بعض المؤرخين ومنهم الحافظ السخاوي والإمام الشوكاني يقولون : إنه اشتهر « بابن المقرئ » غير اننا نجد فى اكثر المصادر أنه عرف « بالمقرئ » . ويؤيد ذلك ما جاء فى كتابه « السلوك » .

انتقلت أسرة المقرئ من بعلبك - إحدى مدن لبنان - إلى القاهرة ، وهناك ولد المقرئ فى حي اسمه « برجوان » وذلك فى ٧٦٦ هـ . وقد اختلف المؤرخون فى تاريخ ولادته فقال الحافظ السيوطي بأنه ولد فى ٧٦٩ هـ . ويرى الحافظ ابن حجر أن ولادته كانت فى ٦٧٧ هـ ، بينما يذهب الحافظ شمس الدين إلى أنه ولد بعد ٧٦٠ هـ .

نشأته ودراسته :

ولد المقرئ في أرض كانت تعتبر من أهم مراكز العلم واشتغل بها عدد ضخم من العلماء الكبار بنشر العلوم والثقافات و يتوخاها متعطشو العلوم من كل حذب وصوب فيشفون الغليل من هذا المورد العلمي الفاض ، وقد أتاحت للمقرئ فرص سعيدة و أخذ يتعلم من صغر سنه حتى ظهر على مسرح العلم كنبغة ، ومن كان يدري أنه سيبلغ قمة عالية من العلم . حفظ القرآن الكريم كعادة أبناء ذلك الزمان ، كما حفظ الأصول والقواعد لعلم اللغة ثم مال إلى دراسة علم الفقه وأصوله فبرع فيهما و نال ملكة تامة في العلوم العربية من النحو والصرف ثم تتلمذ على أساتذة التجويد النابغين حتى لم يترك أي مادة إلا وله إلمام به . وقد أخذ الحديث عن جده ، كما حفظ بعض الكتب الفقهية للمؤلفين الأحناف وسافر الى بلاد نائية فلقى كبار العلماء واستفاد منهم واجتهد اجتهاداً نال به الإمامة في الفنون العلمية والتاريخية وهناك قائمة طويلة للشخصيات التي شاركت في صناعة شخصية المقرئ . فقد أفاد السخاوي أن عدد أساتذته يبلغ ستمائة شخص ، ومن شيوخه البارزين :

- (١) الشيخ أبو اسحاق برهان الدين ابراهيم بن أحمد بن عبدالواحد الشامي (م ٨٠٠ هـ) .
- (٢) الشيخ ابو حفص عمر بن رسلان سراج الدين البلقيني (٧٢٤ - ٨٠٥ هـ) .
- (٣) ابو الحسن علي بن أبي بكر نور الدين الهيثمي (٧٣٥ - ٨٠٧ هـ) .

- (٤) الشيخ برهان الدين ابو اسحاق ابراهيم الدمشقي الآمدي
(م ٧٩٧ هـ) .
- (٥) الشيخ الحافظ زين الدين عبد الرحيم بن الحسين العراقي
(٧٢٥ - ٨٠٦ هـ) .
- (٦) الشيخ ناصر الدين محمد بن علي الجراوي المعروف
بالطبرزد (٦٨٧ - ٧٨١ هـ) .
- (٧) الشيخ أبو الفرج زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن
الشيخة (٧٢٥ - ٧٩٩ هـ) .
- (٨) القاضي شمس الدين محمد بن علي بن الخشاب
(م ٧٨٩ هـ) .
- (٩) العز بن الكويك الربيعي الشافعي (م ٧٩٠ هـ) .
- أما العلماء والأفاضل الذين قابلهم خلال رحلاته
العلمية فقد لقي منهم في مكة المكرمة العلامة ابن السكري
(٧١٨ - ٨٠١ هـ) وموفق الدين علي بن عبد الله النشاوي
الزبيدي (م ٧٩٧ هـ) و في دمشق أبا بكر بن المحب و أبا
العباس بن العز و ناصر الدين محمد بن محمد داود وقد أخذ
الحديث من هؤلاء الأفاضل وأجازوه ، كما أخذ الحديث من
الشيخ شهاب الدين الأزرعي (٧٠٨ - ٧٨٣ هـ) والشيخ
جمال الدين الأسنوي (٧٠٤ - ٧٧٢ هـ) والشيخ بهاء
الدين أبو البقاء السبكي (م ٧٧٧ هـ) وأجازوه في علم
الحديث .

كان المقرئ في بداية حياته مولعاً بالمذهب الحنفي
وتلقى دراسة الابتدائية على نهجه و قد حفظ عدداً من الكتب
الفقهية المؤلفة على طريقة المذهب الحنفي و لكنه تحوّل إلى
المذهب الشافعي فيما بعد .

وقد حدث ذلك بعد ما جاوز عشرين سنة من عمره
وبقى على هذا المذهب إلى أن وافاه أجله المحتوم . ولا يعرف
سبب ميله عن المذهب الحنفي ، لان الكتب لا تشير إليه بتاتاً
حتى إن أقرب تلامذته إليه ابن تغري بردي لم يذكر الأسباب
التي أدت إلى رجوعه عن ذلك المذهب ، ولكنه قال : « ثم
تحول شافعيًا بعد مدة طويلة بسبب من أسباب ذكره لي » (٢) .

اشتغل المقرئ بالتأليف والتدريس بعد ما انتهى من
دراسته فعاش مدرساً للحديث في مدارس القاهرة ودمشق ،
فكان يدرس في المدرسة المؤيدة والمدرسة الأشرفية والمدرسة
الإقبالية ومن الصعب إحصاء أسماء الذين استفادوا منه . ولا
نستطيع أن نحدد المكانة العلمية لرجل بلغ عدد تلامذته إلى
ستمائة رجل كما اننا لا نحيط بإحصاء الأسماء اللامعة
لتلامذته الأفاضل فكفى فخراً له أن يكون مؤلف « النجوم
الزاهرة » أبو المحاسن ابن تغري بردي من تلامذته .

لقد شاهد ابن تغري بردي شخصية المقرئ عن كثب
وكان يثني عليه ثناءً عاطراً . ويقول ملقياً الأضواء على تبحره
في مادة التاريخ :

« في الجملة هو أعظم من رأيناه في علم التاريخ وضربه
مع معرفتي لمن عاصره من العلماء المؤرخين والفرق بينهم ظاهر
وليس في التعصب فائدة » (٣) .

اتفق العلماء على براعته ونبوغه وتفردته في جميع
العلوم والآداب وخاصة في علم التاريخ فلا نجد له فيه مثيلاً
ولذلك نجد المنافسة بين العلماء عامة في ذلك العصر .

يقول الأستاذ لطفي زياده :

« الظاهرة الثانية المشتركة بين أولئك المؤرخين و الكتاب

في القرن الخامس عشر الميلادي هي ممارستهم جميعاً نظم المتورعين في ذلك العصر وأولئك المؤرخون إلى سابقهم أو معاصريهم كانوا شديدي الخصومة والتحاسد والمداهنة» (٤).
والواقع أن الكتب التي ألفت في هذه العصور كانت أروع الكتب وأجدرها بالدراسة و كان العلماء جميعاً على مكانة يحترمهم الناس جميعاً إلا أننا إذا قمنا بتحليل خلقي لهم فنجدهم كما يقول الأستاذ محمد مصطفى :
« وبسببها في الغالب ما تولد بينهم من منافسة و تعصب لمشائخهم سواء كانوا مؤرخين أم محدثين أو موظفين في الدولة المملوكية » (٥) .

ولا نستبعد في ضوء ذلك أن يوجد شيء من هذه الخصال الذميمة في شخصية المقرئ وكتب التاريخ تؤيد هذا في عدد من مواضعها .

المناصب التي شغلها المقرئ :

كان المقرئ متقرباً إلى الملوك والأمراء رغم ما كان يتمتع بتفرد في العلوم والفنون . وكان الوضع آنذاك أن جميع العلماء الكبار كانوا مرتبطين بقصر من قصور السلاطين والأمراء ونتيجة لذلك كانوا يحظون بالمناصب العالية في الإدارات الحكومية .

وكانت له علاقة بالسلاطين الأجانب فكان يتمتع بعزة و شرف و ذلك لتوليه المناصب الرفيعة خلال إقامته بالقاهرة . فعين أميناً لمكتب « ديوان الإنشاء » وعندئذ كان يناهز من عمره عشرين سنة ، ثم أصبح وزيراً في مكتب « كتابة التواقيع » وهو كان منصب وزير الخارجية آنذاك وكانت العادة

هذا المنصب رجل له مكانة فريدة في الآداب وعلم التاريخ ويتفوق على معاصريه فكان حرياً أن يتولى هذا المنصب وقد قام أيضاً بوظيفة القضاء والخطابة والإمامة والتدريس في جامع عمرو وحاكم وفي مدارس مختلفة .

وفي سنة ٧٩١ هـ أعجب الملك الظاهر برقوق (م ٨٠١ هـ) بغزارة علمه وفضله حتى عينه في منصب سام كان يشغله شمس الدين محمد النجاشي (م ٨٠٦ هـ) . وتشهد كتب التاريخ أن المقرئ عين في هذا المنصب عدة مرّات ما بين عام ٧٩١ و ٨١٠ من الهجرة . وكان من العجب العجاب أن أصبح هذا المنصب سجلاً بين المقرئ والعيني فينال هذا مرّة وينال ذاك أخرى .

وكان من المعروف أن الضغائن قد شحنت صدور المقرئ والعيني تجاه بعضهما البعض وقد تسبب الحرص منهما على المنصب والإمارة إلى إضرار جذوة الحقد والضغينة بينهما مما أدى إلى تكرار العزل والتعيين و تحوّل ذلك إلى كره شديد و حقد مملوء يحمله كل منهما تجاه الآخر .

كان المقرئ في آخر أيام حياته وحينما كان مديراً لمحكمة التفتيش ينال راتباً واحداً من الرواتب التي كانت تأتي إليه من الطرق المعروفة مما تسبّب في ضيق المعيشة وقلة وسائل الدخل لديه . ففي هذا الموقف الحرج تألم قلب المقرئ حينما عين العيني في منصبه ، فاضطرت شعلة البغض و الحقد بينهما وقد ظهر ذلك عند وفاة العيني فلم يرد المقرئ أن يسأل للعيني الرحمة والغفران حينما بلغه النعي . وبدأ يجاهر بانتقاد مؤلفاته فأبدي جميع زلاته وأخطائه التي صدرت منه في مؤلفاته في التاريخ وغيرها ولم يذكر مؤلفاته في كتبه .

اما العيني فلم يكن أقل منه طعناً وتشنيعاً عليه وقد كتب عنه في كتابه بافتضاب الا أنه قد تناوله بكلام يملؤه الكره والتحقير ، فيقول : « إنه كان رجلاً مشتغلاً بكتابة التواريخ وبضرب الرمل تولى الحسبة بالقاهرة ثم عزل بمسطر » (٦) .

وعلى كل حال ، تولى المقرئزي مناصب مهمة في القاهرة حتى عندما غادرها الى دمشق وجد فيه السلطان ناصر بن فرج الذي كان يحسب له حساباً كبيراً فعامله معاملة الاحترام والتقدير و عينه في منصب جليل في حكومته فكان المقرئزي يؤدي مسؤولياته الإدارية و يراقب الشؤون الدولية بلياقة و جدارة أكثر ، كما قام بخدمة التعليم في مختلف المدارس . وهكذا قضى المقرئزي ايام حياته السعيدة ، حيناً بالمشاركة في الشؤون الحكومية و آخر بالإكباب على ممارسة التأليف وقد أصيب في آخر أيام حياته بمرض أدى إلى موته وعاش حياة حافلة طويلة ثم غابت شمس العلوم والمعرفة هذه تاركة وراءها آثاراً خالدة .

يقول العلامة السخاوي نقلاً عن الحافظ ابن حجر العسقلاني إن المقرئزي مات وهو بالغ من عمره ثمانين و دفن قبل صلاة الجمعة في محيط « صوفية بيرية » .

لا تذكر المصادر عن مؤلفات المقرئزي كثيراً غير أن من مؤلفاته توجد الآن ما يبلغ أربعين كتاباً يحتوي بعضها على أجزاء كبيرة تحوي كثيراً من الموضوعات و تدل دلالة قاطعة على أن المقرئزي لم يكن نبوغه قاصراً على ميدان فقط شأن علماء عصره ، بل كان له رسوخ وملكة تامة في كثير من المجالات و الموضوعات الا ان اكثر مؤلفاته في

موضوع التاريخ وهذا دليل على سعة علمه في هذا المجال .
 أعجب المقرئ بأساتذته إعجاباً كبيراً ، و يتجلى ذلك
 في مؤلفاته ، فكان معجباً بابن خلدون (م ٨٠٨ هـ) في
 التاريخ والنقد واعترف في مجال الحديث والفقہ من بحر
 الأمدي وابن الصائغ فلمع في سماء العلم والمعرفة كوكباً
 متألئاً وقد اعترف بنبوغه الأفاضل من العلماء حتى اننا نرى أن
 السنة المؤيدين و المعارضين على السواء تلهج بالثناء عليه فيقول
 العلامة السيوطي :

« انه اشتغل في الفنون وخالط الأكابر و نظم ونثر
 و ألف كتباً كثيرة » (٧) .

وهذا ابن تغري يذكر استاذه المقرئ بجمل تليق بشأنه:
 « الشيخ الكامل البارع ، عمدة المؤرخين وعين المحدثين
 وكان ضابطاً مؤرخاً ، متفنناً ، محدثاً ، معظماً في الدول
 وكان إماماً متفنناً . كتب الكتب الكثيرة بخطه وانتقى
 أشياء و حصل الفوائد واشتهر ذكره في حياته وبعد موته في
 التاريخ و غيره حتى صار يضرب به المثل » (٨) .

كان المقرئ يحمل علوماً جمّة و معارف شتى حتى لم
 يبق فن لم يتوصل إلى اعماقه وهو عمود متين يقوم عليه صرح
 التاريخ وقد أصبح مثلاً و نبزاً يستضاء به بقدر مدى عظمته
 العلمية ومؤهلاته المتنوعة في ضوء هذه المؤلفات المطبوعة و غير
 المطبوعة الآتية :

مؤلفاته المخطوطة :

- (١) كتاب المقفى الكبير (٩) .
- (٢) عقد جواهر الأسفاط في أخبار مدينة فسطاط .

- ٣) درر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة (١٠).
- ٤) جنى الازهار من الروض المعطار (١١) .
- ٥) الخبر عن البشر (١٢) .
- ٦) الإشارة والإعلام ببناء الكعبة بيت الله الحرام .
- ٧) الدرر المضيئة في تاريخ الدولة الإسلامية .
- ٨) ذكر ما ورد في بني أمية و بني العباس من الأقوال .
- ٩) منتخب التذكرة .
- ١٠) تراجم ملوك الغرب (١٤) .
- ١١) مقالة لطيفة و تحفة سنية شريفة (١٥) .
- ١٢) المعرفة بما يجب لآل البيت الشريف من الحق على من عداهم (١٦) .
- ١٣) الإشارة والايماء إلى حل لغز الماء (١٧) .
- ١٤) إزالة التعب والعناء في معرفة حل الغناء (١٨) .
- ١٥) البيان المفيد في الفرق بين التوحيد والتلحيد (١٩) .
- ١٦) المقاصد السنية في معرفة الأجسام المعدنية .
- ١٧) صلاة الليل مثنى مثنى أو مختصر قيام الليل .
- ١٨) حصول الإنعام والمير في سؤال خاتمة الخير .
- ١٩) كتاب شارع النجاة .
- ٢٠) كتاب مجمع الفرائد و منبع الفوائد .
- ٢١) الأخبار عن الأعذار .
- ٢٢) قرض سيرة المؤيد لابن ناهض .
- ٢٣) ضوء الساري في معرفة أخبار تميم الداري (٢٠) .

مؤلفاته المطبوعة :

- ١) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ، القاهرة ١٢٧٠هـ .

- (٢) إغاثة الأمة بكشف الغمة ، القاهرة ١٩٥٧ م .
- (٣) الإلمام بأخبار من بأرض الحبشة من ملوك الإسلام ، مصر ١٨٩٥ م .
- (٤) الذهب المسبوك في ذكر من حجّ من الملوك ، القاهرة ١٩٥٥ م .
- (٥) السلوك لمعرفة دول الملوك ، باريس ١٨٤٥ م ، القاهرة ١٩٥٧ م .
- (٦) تجريد التوحيد المفيد ، مصر ١٣٤٣ هـ .
- (٧) كتاب أتعاظ الخلفاء بأخبار الأئمة الخلفاء . القاهرة ١٩٦٧ م .
- (٨) النقود القديمة الإسلامية (شذور العقود في ذكر النقود) مصر ١٢٩٨ هـ .
- (٩) الطرفة الغربية في أخبار حضرموت العجيبة ، ١٨٦٦ م .
- (١٠) النزاع و التخاصم فيما بين بني أمية و بني هاشم ، ليدن ١٨٨٨ م .
- (١١) المكائيل و الموازين الشرعية ، روستوكي ١٨٠٠ م .
- (١٢) نحل عبر النحل ، ١٩٤٦ م .
- (١٣) البيان و الاعراب فيمن نزل أرض مصر من الأعراب ، ١٨٤٧ م .
- (١٤) إمتاع الاسماع بما للرسول من الأبناء و الأموال و الحفدة و المتاع ، القاهرة ١٩٤١ م .
- (١٥) تاريخ الأقباط أو أخبار قبط مصر ، غوتجن ١٨٤٥ م .
- (١٦) ذكر دخول قبط مصر في دين النصرانية ، أوربا ١٢٢٨ م .
- (١٧) حرب الروم و الفرنج ، دار الكتب الأصفية .
- (١٨) تاريخ الحبش .

كتاب « المقفى الكبير » :

كتاب المقفى الكبير من أهم مؤلفات المقرئى ويشتمل على تراجم العلماء و الحكماء والخلفاء والأمراء والأدباء والشعراء والتجار المصريين وغيرهم ممن كانت لهم علاقة ببلاد مصر في أي حين و بأي نوع بل وقد يذكر أيضا أولئك الذين مروا بمصر في أي زمان فجاء هذا الكتاب مصدرا مهماً من مصادر التاريخ المصري (٢١) .

يقول جمال الدين الشيال في مقدمة اتعاظ الخلفاء

للمقرئى :

« كتاب المقفى في تراجم أهل مصر والوافدين عليها وهو كما يتضح من عنوانه مخصص لترجمة البارزين من أبناء مصر أو ممن وفدوا عليها أو أقاموا بها خلال العصر الإسلامى وكان يقدر له أن يخرج في ثمانين مجلداً ولكنه لم ينجز منه إلا ستة عشر مجلداً توفي قبل أن يتمه ومع هذا لم تصلنا كل الأجزاء التي أتمها وإنما وصلنا بعضها وضاع البعض الآخر . » .
ويقول الشيال أيضاً في مقدمة الذهب المسبوك

للمقرئى :

« يلاحظ أن المقرئى يحيل القارئ هنا كثيراً إلى معجم تراجمه الكبير (المقفى) وذلك لأنه ترجم في المقفى لكل الأعلام الذين برزوا في تاريخ مصر ممن عاشوا فيها أو زاروها . و كثير من الخلفاء والملوك الذين ترجم لهم هنا ترجمات مختصرة لهم ترجمات مفصلة في « المقفى » ولهذا كان يحيل القارئ عادة على كتابه الآخر الكبير إن كان يطلب المزيد من المعرفة . » .

وهذا الكتاب الذي نتحدث عنه هو جزء من ثمانين

جزءاً قد خطط له تخطيطاً ولكن فاجأته المنية فلقي ربه بعد ما أكمل ستة عشر جزءاً منه ولا يوجد الآن جميع أجزائه فبعضها أصبح ضحية الزمان و بعضها في مكان لم نجد السبيل إليه حتى الآن و كان من حسن الحظ أن قد عثر أستاذنا المبجل البروفيسور مختار الدين أحمد على ثلاثة أجزاء منه في مكتبة جامعة ليدن بهولندا . وهي مسودات بخط المؤلف وظفر البروفيسور المذكور بجزء واحد منه في مكتبة باريس حينما زارها عام ١٩٥٤ م وهي أيضاً مسودة بخط المؤلف . اما اثنا عشر جزءاً منه فلا يزال في طي الخفاء .

كما قلنا إن المقريري أراد ان يكمل سفره الجليل هذا في ثمانين جزءاً فلو نجح في تحقيق خطته و ألبس أفكاره لباس الألفاظ كما عقد عزمه عليه لاكتمل تاريخ عظماء مصر ولكان كتابا يحسب له حساب يستهين أمامه كتب التاريخ الأخرى غير أن ما قدّمه هو فريد في موضوعه وأسلوبه وفحواه. بدء المؤلف كتابه بذكر رجال تبثدي أسماءهم بـ « محمد أو أحمد تفاعلاً باسم النبي صلى الله عليه وسلم فلا نجد الكتاب مرتباً ترتيباً زمنياً إلا أن ترتيب الأسماء يقوم على أساس الحروف الأبجدية ولكن هناك استثناءات في هذا المجال .

ومن أهم مميزات هذا الكتاب أن له نسخة واحدة بخط المؤلف في جميع العالم كما يقول الباحثون ومن حسن الحظ أن البروفيسور مختار الدين أحمد قد حصل بجهد المتواصل على صور لهذه الأجزاء الأربعة وهي لا تزال في مكتبة مولانا آزاد بمدينة علي كره .

والكتاب الذي أمامنا هو الجزء الثاني من « المقفى

الكبير» رقمه ٣١٧ و يشتمل على ٢٣١ صفحة أكثرها ٢٧ سطرا . والنسخة الأصلية التي توجد في مكتبة ببلوتيكيا ليدن (هولندا) رقمها ١٣٦٦ - دي آر (DR) .

أما الجزء الأول من هذا الكتاب فقد حققه أحد الباحثين الايرانيين البروفيسور آغا سيد محمود أسد اللهي الاستاذ في جامعة « مشهد » (و ذلك تحت إشراف فضيلة الأستاذ البروفيسور مختار الدين أحمد) و حصل على شهادة «الدكتوراة» من جامعة علي كره الاسلامية . و يحتوي هذا الجزء على ٣٨٥ ترجمة يتدئ من « محمد بن آدم بن علي ، وينتهي علي محمد بن اسحق بن ابراهيم السلمي المناوى (م ٧٦٥ هـ) و الجزء الثاني يحتوي ٦٩٨ ترجمة مبدوؤة بترجمة العلامة قاضي القضاة محمد بن عبده بن حرب أبو عبيد الله العباداني من رجال القرن الرابع (م ٣١٣هـ) و آخر اسم من اسماء سلسلة تراجم هذا الكتاب هو الشاعر الفذ النابغ محمد بن القاسم ابو الحسين ماني الموسوي من رجال القرن الثالث .

الأسلوب :

إن الأسلوب الذي اتبعه المؤلف في تأليفه للكتاب كما

يلي :

- (١) يلتزم بذكر الأعوام التي ولد و توفي فيها أصحاب التراجم و اذا لم يكن يعرف ذلك ترك موضع العام «بياضاً» بعد ما يكتب « توفي » أو « مات » .
- (٢) أما طريقة الكتابة أو الخط الذي اختاره فالجدير بالذكر أن المقرئ لا يكتب « الألف » بتاتا فعلى

سبيل المثال يكتب « حرث » بدل « حارث » ابراهيم بدل « ابراهيم » ، « سلمن » بدل « سلمان » . (وهذه الطريقة لا تقتصر على المقرئزي وحده بل كانت شائعة منذ بدء الكتابة في صدر الإسلام . التحرير) .

(٣) الكلمات التي تنتهي على الهمزة تكتب في آخرها همزة غير أن المقرئزي لا يكتب مثلاً : جا ، ضيا ، قضا، بدل : جاء ، ضياء ، قضاء .

الأخطاء :

الأسماء التي وردت في تراجم العلماء سواء كانت لأساتذته أو تلامذته يذكر المقرئزي ضمن ألقابهم وكناهم ، والمهن التي كانوا يحترفونها والأمكنة التي ولدوا فيها أو المذاهب التي يتمذهبون بها . و ذلك لتميز شخصياتهم كل التمييز فمثلاً يكتب حنفياً أو شافعيّاً أو مالكيّاً أو حنبليّاً حسب مذاهبهم كما يكتب بصريّاً أو كوفيّاً أو بغدادياً أو أندلسياً حسب أماكنهم و يكتب عسلاً و حذاءً و خياطاً و بزازاً حسب مهنتهم . إلا أنه خالف في بعض المواضع فاكتفي بذكر الأسماء والكنى مثل ابن الجميزي فهناك ثلاثة رجال كانوا يسمون بهذا الاسم و يتعاصرون فكان من الواجب أن يوضح المؤلف بكنيته أو مهنته أو بلده الذي ولد فيه .

وأحياناً يخطئ المؤلف في ذكر أسماء الأساتذة والتلامذة فمثلاً ورد في الترجمة رقم ٣٣١ أحد الأسماء هكذا : (الحسين بن النعمان أحد تلامذته محمد بن علي أبوبكر الكمال الأدفودي) فهذا خطأ والإنسان مركب من الخطأ والنسيان . والاسم الصحيح كما يلي :

محمد بن الحسين بن محمد بن إبراهيم بن النعمان أبو عبد الله القرشي . ونذكر مثلاً آخر : يقول المؤلف (حسن بن سهل) و هذا أيضاً خطأ فانه حسن بن سليمان بن الخير أبو علي الانطاكي أحد أساتذة المقرئزي الكبير ، أبو عمرو الداني . وهكذا أخطأ في ذكر سني الولادة والوفاة لبعض المترجمين لهم ففي الترجمة رقم ٥٣٠ جعل سنة الوفاة سنة الولادة .

المجهولون :

جاء المقرئزي في كتابه بتراجم رجال لم يطلع على حياتهم تفصيلاً فذكر أسمائهم لكي يضيف إليها ما عساه يجده عن حياتهم و مآثرهم فيما بعد ، ومنهم :

- (١) محمد بن عبد الرحمن بن عبد العظيم عز الدين الزفتاوي الفقيه الحنبلي الأعرج معيد المدرسة السيوفية توفي سنة إحدى و ثلاثين و سبعمائة (الترجمة رقم ٤١) .
- (٢) محمد بن عبد الرحمن بن عبد الغنى شرف الدين أبو عبد الله بن ابي القاسم الشافعي قاضي دمياط و بها مات في السابع من رمضان سنة خمس و سبعين و ستمائة (رقم ٤٣) .
- (٣) محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن بن شريح أبو بكر السامري كان يسكن بالحيرة حدث و توفي سنة خمس و ثلاثمائة ذكره ابن يونس ، (رقم ٥٣) .
- (٤) محمد بن عبد العزيز بن عبد القوي أبو عبد الله المالكي العدل توفي بالإسكندرية في الرابع من شعبان سنة خمس و ستين و ستمائة . (رقم ١٢٦) .

- (٥) محمد بن عبد العزيز بن الوزير بن صابى الجزامى
الجرورى روى عنه الحسين بن عبد الله بن أحمد القرشى
(رقم ١٣٧) .
- (٦) محمد بن (رقم ١٤٢) .
- (٧) محمد بن عبد الغفار بن ابي و مات بالقاهرة سنة
خمس عشرة و ستمائة (رقم ١٤٦)
- (٨) محمد بن عبد الله بن الفضل بن فضالة القتباني المصري
قال ابن يونس : توفي في شهر رمضان سنة تسع أو ستة
عشر ومائتين ، (رقم ١٩٣) .
- (٩) محمد بن عبد الله أبو بكر الغازي الفقيه قال ابن يونس :
توفي يوم الأحد آخر يوم من جمادى الآخرة سنة احدى
وتسعين و مائتين (رقم ٢٠٢) .
- (١٠) محمد بن عبد الله أبو القاسم العباسي الجوهري
المعافري الشريف مات يوم الجمعة الثالث عشر من
جمادى الآخرة سنة أربع وثلاثين وأربع مائة
(رقم ٢٠٦) .
- (١١) محمد بن عبد الله الكردي الامير بدر الدين الحاجب
مات يوم الجمعة الثالث عشر من جمادى الآخرة سنة
ثلاث وتسعين و خمسمائة (رقم ٢٠٩) .
- (١٢) محمد بن عراك بن محمد بن عراك أبوبكر ، مولده سنة
اثنيتين وثمانين ومائتين ومات سنة ست وأربعين وثلاثمائة
وهو ثقة (رقم ٣٠٧) .
- (١٣) محمد بن عطية (رقم ٣٢٠) .
- (١٤) محمد بن علي بن أحمد بن الباقر (رقم ٣٢٢) .
- (١٥) محمد بن علي بن حسين نجم الدين الاسعروى محتسب

القاهرة و توفي منتصف جمادى الأولى سنة سبع و ثلاثين
وسبعمائة (رقم ٣٤٧) .

(١٦) محمد بن علي بن (رقم ٣٥٥) .

(١٧) محمد بن علي بن الحسين بن علي الأغلب بن الحسين
كان بمصر توفي سنة تسع و عشرين وأربعمائة (رقم ٣٥٩) .

(١٨) محمد بن علي بن (رقم ٣٩٨) .

(١٩) محمد بن علي بن (رقم ٤١٢) .

(٢٠) محمد (رقم ٤١٧) .

(٢١) محمد بن علي بن الفرغ ابو عبد الله الخطيب مات
في رجب سنة ست و ثلاثين واربعمائة (رقم ٤٢٣) .

(٢٢) محمد بن علي بن محمد الحنبلي محيي الدين
(رقم ٤٦٢) .

(٢٣) محمد بن علي بن منصور بن أحمد بن ريسان أبو
طالب أحد قضاة بعض أعمال مصر في الأيام الفاطمية
(رقم ٤٧٥) .

(٢٤) محمد بن عمر بن محمد (رقم ٥٤٦) .

(٢٥) محمد بن عمير أبو هريرة المعافري روي عنه خالد بن
حميد المهري (رقم ٥٩٢) .

(٢٦) محمد بن عيسى أبو الحسين السعدي توفي يوم الثلاثاء
الثالث عشر من شوال سنة اثنتين و ثلاثين واربعمائة
(رقم ٦١٩) .

(٢٧) محمد بن عيسى ابو طاهر الجياشي توفي بمصر لثمان
عشرة خلت من ربيع الآخر سنة اثنتين وعشرين ومائتين
وثلاثمائة (رقم ٦٢٢) .

(٢٨) محمد بن غالب (رقم ٦٢٧) .

الأسماء المكررة في النصوص :

كما يعرف أن المقرئ لم يمهله الأجل ان يكمل ما نقص منه في الكتاب فمثلاً تكررت بعض أسماء المترجمين، ويكفي ان نذكر بعض الأمثلة على ذلك :

(١) محمد بن عبد الرحمن بن عبد العظيم عز الدين الزفناوي الفقيه الحنفي الأعرج (رقم ٣٨ ، وذكره مرة أخرى برقم (٤١) .

(٢) محمد بن علي بن اسماعيل بن الفضل أبو عبد الله الإيلي (رقم ٣٤٠ ، وذكره مرة أخرى برقم (٣٤١) .

(٣) محمد بن علي بن جعفر بن علي ابو علي السعدي المعروف بابن القطاع (رقم ٣٤٢ و ذكره برقم ٣٤٣ أيضا) .

(٤) محمد بن علي بن حسين نجم الدين الإسعدي (رقم ٣٤٦ و ذكره برقم ٣٤٧ أيضا) .

موارد المقرئ في كتابه :

الكتب التي استفاد منها المقرئ لا يعرف أكثرها كمصادر لدى العلماء و أما الكتب التي اطلعوا عليها فهي كثيرة منها ما لم تطبع حتى الآن و منها ما هو في طريقه الى الطبع كما أن بعضها مطبوعة ولكنها غير متداولة ولم تتمكن من الحصول عليها ، أما الكتب التي وصلت اليها و قمنا بدراستها فإنها أقل من القليل .

ذكر المقرئ في كتابه بعض الأشخاص الذين لقيهم مباشرة وهي ناحية تميز هذا الكتاب عن غيرها لأن تراجم هؤلاء الأشخاص لا توجد في كتب أخرى .

تتوزع الكتب التي استفاد منها المقريري إلى نوعين :

الأول : مطبوعة .

والثاني : غير مطبوعة وهي إما في طريقها إلى الطبع أو ضاعت وانمحت آثارها . أما مؤلفوا الكتب المطبوعة و غير المطبوعة ، فهم :

أبو الوليد الفرضي - أبو نعيم - أبو القاسم بن
عساكر - ابن الجوزي - أبو سعيد السمعاني - أبو بكر
الخطيب - أبو بكر الكمال الادفوي - أبو اسحاق الشيرازي -
ابن الأبار - السبكي - ابن ماکولا - ابن بشكوال - الحميدي
- المرزباني - صلاح الصفدي - الشريف الحسيني - ابن أبي
حاتم - ابن الأثير - أبو بكر الصولي - أبوذر الهروي - أبو
اسحاق الحبال - أبو طاهر السلفي - أبو القاسم الطحان - أبو
سعد الماليني - أبو محمد المنذري - الحاكم النيسابوري - ابن
يونس - أبو الحسن - الدارقطني - أبو أحمد بن عدي -
ابن النجار - ابن زولاق - الحافظ عبد الكريم بن منير -
مسلمة بن قاسم - ابن المستوفي المسيحي - أبو حيان الخلال -
أبو داود - ابن نقطه - الحافظ الدمياطي - ابن ميسرة - علي
بن محمد السخاوي .

مكانة كتاب المقفى الكبير في نظر المؤرخين :

تتجلى مكانة هذا الكتاب و أهميته بتعليقات العلماء
والباحثين و آرائهم .

فعلى سبيل المثال أنقل هنا بعض الآراء لبعض المؤرخين
ومنها قول الحافظ السخاوي في الضوء اللامع (٢١) :
« التاريخ الكبير للمقفى وهو في ستة عشر مجلداً وكان يقول

أنه لو كمل على ما يرويه لجاوز الثمانين « (٢٢) .
يقول جرجي زيدان :

« وقدّر أنه (أي المقفى الكبير) يستغرق ثمانين مجلداً
لم يظهر منه إلا ١٦ مجلداً منها ثلاثة مجلدات في ليدن ومجلد
في باريس ، كلها بخط المؤلف « (٢٣) .
ويرى مصطفى زياده :

« هو كتاب المقفى الكبير و كان المقصود به أن يكون
مجمعاً لتراجم حكام مصر و رجالها من المسلمين والنصارى
منذ أقدم العصور إلى ما قبل عصره وقدّر له أن يكون في ثمانين
مجلداً ولم يستطع أن ينجز منها سوى ١٦ فقط « (٢٤) .
ويقدر مدي أهمية هذا الكتاب بأن المؤرخ الشهير
الحافظ جلال الدين السيوطي عند ما كان يؤلف كتابه « بغية
الوعاء » استفاد من كتاب « المقفى الكبير » استفادة عظيمة
ومما يدل على ذلك أننا نجد في كتابه أنه يكثر من ذكر
كتاب المقرئ كما يقول في مواضع مختلفة :
« أورده المقرئ في المقفى » ، وهذا يثبت أن العلامة
السيوطي استفاد منه في تأليف كتابه وبذلك تزداد أهمية
كتاب « بغية الوعاء » .



الهوامش والمصادر

- ١- الضوء اللامع ٢ : ٢١ مطبعة القدسي القاهرة ، ١٣٥٣ / ١٣٥٥ هـ .
- ٢- المنهل الصافي المستوفي بعد الوافي ، تحقيق أحمد يوسف نجاتي ، القاهرة ١٣٧٥ هـ .
- ٣- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ١٩٣٩-١٩٥٦ م .
- ٤- المؤرخون في مصر ، ص ٧٤ ، القاهرة ، ١٩٥٤ م .
- ٥- المصدر السابق ص ٨٥ .
- ٦- المصدر السابق ص ٨٥ ، والضوء اللامع ٢ : ٢٤ نقلاً عن العيني .
- ٧- حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة ، ١ / ٣٢١ ، القاهرة ، ١٣٢١ هـ .
- ٨- المنهل الصافي المستوفي بعد الوافي ، ١ : ٣٩٤ .
- ٩- سيأتي ذكره مفصلاً .
- ١٠- هو معجم تراجم الأعيان من معاصريه في ثلاثة مجلدات ، منه قطعة في حرف الألف وأخرى في حرف العين بخط المؤلف في غوطا ، آداب اللغة ١٩٢ / ٣ .
- ١١- منه نسخة في دار الكتب المصرية في ١١٦ صفحة ذكر فيه أنه خلاصة « الروض المعطار في عجائب الأقطار » ، وفيه وصف أهم الأقاليم ومساحاتها ، آداب اللغة ١٩٣ / ٣ .
- ١٢- هو سفر كبير يقع في ستة أجزاء ذكر فيه القبائل وأنساب الرسل ، وتوجد منه نسخ في أيا صوفية وفي خزانة الفاتح وفي ستراسبورج ونقلت عنه مجلة المشرق فصلاً في تاريخ الكتابة العربية في الإسلام ، انظر : آداب اللغة ١٩٣ / ٣ .
- ١٣- منه نسخة في فينيا ، انظر : آداب اللغة ١٩٣ / ٣ .

- ١٤- فيه أخبار أبي حمود من خلقة على تلمسان ، منها نسخة في ليدن
وفينا في جملة مجموعة فيها بضعة عشر مؤلفاً من مؤلفات المقرئزي ، انظر:
آداب اللغة ٣ / ١٩٣ .
- ١٥- في حرص النفوس الفاضلة على بقاء الذكر ، رسالة في المتحف البريطاني ،
انظر : آداب اللغة ٣ / ١٩٢ .
- ١٦- نسخة منه في فيينا ، انظر : آداب اللغة ٣ / ١٩٣ .
- ١٧- في الآداب اسمه : « الإشارة والاسماء » لعله خطأ في دار الكتب
المصرية ، انظر : آداب اللغة ٣ / ١٩٣ .
- ١٨- نسخة منه في باريس ، آداب اللغة ٣ / ١٩٣ .
- ١٩- نسخة منه في دار الكتب المصرية ، آداب اللغة ٣ / ١٩٣ .
- ٢٠- يوجد من هذا الكتاب نسخ خطية في المتحف البريطاني وليدن ضمن
مجموعة رسائل المقرئزي تحت رقم ٢٤٠٨ .
- ٢١- تأليف للمقرئزي غير مطبوع ، الدكتور مختار الدين أحمد ، الدكتور
اشتياق حسين قريشي ، المجلة التذكارية ، كراتشي ١٩٨٦ م .
- ٢٢- الضوء اللامع ٢ / ٢٢ .
- ٢٣- آداب اللغة العربية ٣ / ١٩٢ .
- ٢٤- المؤرخون في مصر ص ١٣ .